موسم الزيتون في التراث الشعبي الفلسطيني

(لمحة تاريخية عن شجرة الزيتون)

ان تاريخ شجرة الزيتون يتوه في بطون التاريخ الى اقدم عصوره ويختلف العلماء في مواطنها . فمنهم من يقول انه ارمينيا او آسيا الصغرى ومنهم من يقول انه سوريا ولكن اغلبهم يتفقون على انه الشرق الادنى ومنه انتقلت الى جنوب اوروبا وشمال افريقيا وشرق آسيا . والظاهر ان اعتماد اصحاب الرأي الاول أي الذين يقولون ان موطنها ارمينيا وآسيا الصغرى مبني على ما جاء في الكتاب المقدس وهو ان نوحاً عندما رست سفينته على جبل آراراط وأطلق الحمامة التي عادت اليه بغصن زيتون اخضر، في فمها (سفر التكوين ٨ – ١٠)(١) غير ان هذا لا يثبت ان موطنها هناك ، ولكن الاشارة الى ذكرها من عهد نوح دليل على شدة قدمها فلم يسبقها في الذكر المدون من الاشجار المثمرة الا شجرة التين وذلك في قصة آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يزالان في الجنة . والارجح ان شجرة الزيتون نشأت في هذه الديار (سوريا وفلسطين) ذات المناخ الانسب من مناخ آراراط .

وفي الازمنة الغابرة عرف الاغريق زراعة الزيتون . وكان زيت الزيتون يقوم في حياتهم مقام الزبد والصابون والغاز حيث كان يستعمل للطهو والغسيل والانارة فضلا عن استعماله كمرهم عطري مستحب في المناخ الجاف (٢)

لقد كان اساس الوجبة اليونانية يتألف من الخبز والزيتون وكان الزيت يستعمل في كل طعام تقريباً وكان اليونانيون يدلكون اجسامهم بالزيت بدلا من الصابون حيث لم يعرفوا صناعته وكانت وسيلة الاضاءة الوحيدة عندهم هي مسارج الزيت .

وكان الزيتون يعصر في معاصر خاصة فكانت المعصرة الاولى ينتج منها زيت الطعام ومن الثانية زيت الاستحمام ومن الثالثة

(١) شجرة الزيتون – علي نصوح الطاهر ص ١ .

(٢) التاريخ اليوناني – د . عبد اللطيف احمد علي ص٣٩ – دار النهضة بيروت ١٩٧٠ .

زيت الاضاءة وما يبقى بعد ذلك من قشر فيستعمل كوقود وفي الاساطير اليونانية ان الربة أثينة هي التي ادخلت شجرة الزيتون في اقليم اتيكا في وقت لم تكن قد نبتت بعد في اي جهة اخرى من بلاد اليونان ، غير ان اكتشاف معاصر الزيت في قصر مينوي بمدينة كنوسوس الكريتية يرجح ان الزيتون اصيل في بلاد اليونان وان اكليل الزيتون البري كان هو الجائزة اليونانية المفضلة منذ الدورة الاولمبية الاولى .

وثمة حقيقة هامة تتصل بالزيتون فهو لا ينضج الا بعد مدة طويلة من غرس اشجاره التي لا تعطي محصولا كاملا الا بعد ستة عشر عاما او ثمانية عشر عاما وقد لا تعطي اجود محصول الا بعد اربعين أو ستين سنة ولهذا اصبح غصن الزيتون رمزا للسلام لأنه يحتاج الى فترة سلام طويلة تحت ظل حكومة قوية تكفل الأمن لكي تتاح الفرصة لاشجار الزيتون لكي تنمو وتنضج .

لهذا كان الزيتون نعمة اسبغتها الطبيعة على اتيكا ولكنه كان نقمة عليها في بعض الاحيان ذلك ان اتلاف مزرعة من مزارع الزيتون لايعني كما يحدث في حالة حقل من القمح ضياع سنة واحدة بل ضياع رأس المال كله . ولهذا اصيبت اتيكا باضرار فادحة بسبب التخريب الذي احدثه الفرس بأراضيها في الحروب الميدية ٤٩٠ – ٤٦٧ ق . م .

والاسبرطيون في الحروب البلوبونيزية ٤٣١ ٤٠٤ ق . م .

ولا يوجد معلومات وافية عن شجرة الزيتون عند الامم القديمة التي سكنت فلسطين كالحثيين واليبوسيين والأموريين ولكن يفهم مما ورد في التوراة ان شجرة الزيتون كانت كثيرة الانتشار في هذه البلاد فأطلق عليها (أرض الزيتون والزيت) ويدل على هذا ان صناعة استخراج الزيت كانت معروفة قبل موسى عليه السلام بين شعوب هذه البلاد الذين لابد ان يكونوا قد اكتسبوا على مر السنين خبرة عملية في كل ما يتعلق بشجرة الزيتون وثمرها .

ولا تزال بعض القرى والاماكن في وقتنا الحاضر يدل اسمها على ما كانت تتمتع به من شهرة باستخراج الزيت من الزيتون منذ التاريخ القديم منها قرية (زيتا) من قرى نابلس وكذلك (زيتا) من قرى طولكرم و(زيتا) من قرى الخليل (وبير زيت) في لواء رام الله و (عين الزيتون) من قرى صفد و (وادي الزيتون) من اراضي نابلس و(سيلون) قرب ترمسعيا بين نابلس ورام الله ولا تزال بعض هذه الاماكن تشتهر بالزيت حتى وقتنا هذا مثل (بير زيت) و (زيتا) كما اشتهرت في التاريخ القديم قرية تقوع (في فلسطين حيث تقع الى الجنوب الشرقي من قرية ارطاس – بيت لحم .